تذكير أهل الطَّوْل بفضل الصدقة والبذل وتحذير أهل الكسل من مدّ اليد وذمّ التَّسَوُّل

2023-08-25

الحمد لله الذي صرَّف شؤون الخلق بحكمته، وعمَّهم بجُوده ورحمته، القائمِ بأرزاق خلقه، فما لأحدٍ منهم عنه غِنًى، الخلائقُ كلهم إليه فُقراء، وله سبحانه وحده الغِنَى، فتحَ لكسبِ الرزقِ أبوابًا، وجعلَ لحلولِ البركةِ فيهِ أسبابًا، فأمر بطلب الرزق والإكتساب، ونهى عن العجز والتكاسل وتعطيل الأسباب، وله الحمد على ما حصل، ونعوذ به من العجز والكسل، والجبن والبخل والفشل. فسبحانه من إله البَرّ الجواد الكريم، القابض الباسط الرحمن الرحيم، أمر بالإنفاق في سبيله. وتأذّن بالخلف والمزيد للمنفقين. وبمضاعفة برّه للمحسنين. إذ قال في سورة سبأ وهو أصدق القائلين: ((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)). وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. ذو الإنعام والإفضال، أنعم علينا بالأموال، وأباح لنا التكسّب بها عن طريق الحلال، وشرع لنا تصريفها فيما يُرضي الكبير المتعال، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله. علّم أمّته معاني الهمّة والعزيمة، وغرس فيهم قوّة الإرادة والشكيمة، ونفّرهم من صُوَر الإستكانة والهزيمة،

يا أمّة المصطفى يا سادةَ الأُمَمِ * هذا محمّدُنا طريقُهُ واضِحُ

وبهديه مهما اهتديتمْ تُفلِحوا * وإذا أردتم في الأمور تَنجحُوا

صلّوا عليه في كل حين تربحُوا

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النبيّ الأوّاه. وعلى آله الحائزين من الشرف غاية مجده وعلاه. وصحابته الممدوحين في كتاب الله. ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ)). صلاة نسألك اللهم بسرّها أن تهدينا بهداه. وتفيض

بها علينا بحر كرمه ونداه. وتجعلنا بها ممّن حاز في الدارين أوفر حظّ من نيل عطائه الجزيل وجَداه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ وَأَطْيَبِهَا وَأَعْظَمِهَا وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى: بَذْلُ الصَّدَقَاتِ؛ فَهِيَ قُرْبَةٌ وَإِحْسَانٌ، وَبَرَكَةٌ وَنَمَاءٌ مِنَ الدَّيَّانِ، قَالَ تَعَالَى في سورة آل عمران: ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))، وَقَالَ سبحانه في سورة البقرة: ((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)). وَبَذْلُ الصَّدَقَاتِ أَعْمَالٌ مُبَارَكَةٌ، ولها منافع وفوائد وفضائل. ينبغي للمسلم أن يتأمّلها. وأن يجتهد في تحصيلها. ونيل أجرها وثوابها؛ فالصدقة سببٌ في دعاء الملائكة للإنسان. أن يزيد الله تعالى في ماله، وأن يُبارك له في رزقه. فقد صحّ في الحديث المتفق عَلَيْهِ عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)). والْمُرادُ بِالْمُمْسِكِ: مَنْ أَمْسَكَ عن النَّفَقَةِ الواجِبَةِ. وكانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُنْفِقُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَوْ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ كَيْ يَنالَ بَرَكَةَ هذا الدعاءِ. وقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ((ابْنَ آدَمَ: أَنْفِق، أُنْفِقْ عَلَيْكَ)). وهذانِ الحديثانِ يَدُلَّانِ عَلَى فَضْلِ النَّفَقَةِ في أُمُورِ الخَيْرِ عُمُومًا وَلا يَخْتَصَّانِ بالصَّدَقَةِ. أيّها المسلمون. والصدقة بوّابة للرزق. ومن أسباب سعته واستمراره وزيادته، بدليل قوله تعالى في سورة إبراهيم: ((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ))، والصدقة غايةٌ في الشكر. كما أنّ نصوص السنّة الثابتة. جاءت بما يؤكّد هذا المعنى. الذي دلّت عليه آيات القرآن الكريم، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((ما فتح رجلٌ بابَ عَطَيَّةٍ بصدَقَةٍ أوْ صِلَةٍ، إلَّا زادَهُ اللهُ تعالى بها كثرَةً، وما فتح رجلٌ بابَ مسألَةٍ ، يريدُ بها كثرَةً ، إلَّا زادَهُ اللهُ

تعالى بها قلّةً)). والصدقة تزيد وتُبارك في مال الإنسان، وتدفع عنه المضرّات. كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)). والصدقة رصيدٌ يدّخره الله تعالى لعباده المتصدّقين في الدار الآخرة. من الأجر العظيم. والثواب الجزيل. كما جاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ اللهَ يقبلُ الصدقةَ، ويأخذُها بيمينِه، فيُرَبِّيها لِأَحَدِكم، كما يُرَبِّي أحدُكم مُهْرَه، حتى إنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ. وتصديقُ ذلك في كتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ. و: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)). أيّها المسلمون. والصدقة سببٌ لعلاج الأمراض البدنية. روى الدارقطني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حصِّنُوا أموالَكم بالزكاةِ ، وداوُوا مرضاكم بالصدقةِ ، وادفعُوا أنواعَ البلاءِ بالدعاءِ)). كما أنّ فيها دواء للأمراض القلبيّة أيضا، فقد روى الإمام أحمد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ((أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)). والصدقة تدفع عن صاحبها المصائب والبلايا، وتنجيه من الكروب والشدائد، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم كما في مستدرك الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَالْآفَاتِ وَالْـهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْـمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْـمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ))، والصدقة مطهّرة للمال، ممّا يصيبه من جرّاء اللغو والحلف والكذب والغفلة، فقد كان النَّبيّ صلى الله عليه وسلم يوصي التّجّار الذين يقضون جُلّ أوقاتهم في الأسواق، في البيع والشراء. ويحصل لهم في تعاملهم مع الناس كثير من اللغو. وكثير من الحلف لغير حاجة، وغير ذلك. فقد أرشد هؤلاء التّجّار بالصدقة. روى أحمد والنسائي وابن ماجة عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

((كُنَّا نُسَمَّى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَاسِرَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّ هَذَا الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ، وَالْحَلِفُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ)). أيْ أخلطوه بالصدقة. والصدقة تمحو الخطيئة. وتطفئ لهب المعصية. فإنّ لكلّ معصية لهبًا. لِمَا صحَّ في سُنن الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))، والصدقة تُطفئ عن أصحابها حرَّ القبور. أخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ، والبَيْهَقِيُّ في الشُّعَبِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((إنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلى أهْلِها حَرَّ القُبُورِ، وإنَّما يَسْتَظِلُّ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيامَةِ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ)). كما أنّ الصدقة تطفئ غضبَ الربّ. أخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ، وابْنُ حِبّانِ عَنْ أنَسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((إنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ)). أيّها المسلمون. وكما حثّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، ورتّبا عليها الأجر العظيم، فإنهما كذلك نهيا عن التسوّل وسؤال الناس، لِمَا فيه من إراقةٍ لماء الوجه، ولِمَا فيه من ذلٍّ وهوان في الدنيا والآخرة، وهو عملٌ حقير ترفضه الأذواق السليمة. والأصل في التسوّل التحريم، وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عنه، منها: ما في الحديث المتّفق عليه عَنْ عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((ما يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ)). نَعَمْ ((حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ))، إِذْ يَأْتِي سَاقِطَ القَدْرِ خَسِيسَ المَنْزِلَةِ ذَلِيلًا مِنْ فِعْلِهِ الشَّائِنِ، وَمِنْ سُؤَالِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ جَامِعًا لِلْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى العَمَلِ. وَانْظُرُوا رحمكم الله في تَنْبِيهِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى تَحَوُّلِ هَذَا الفِعْلِ إِلَى عَادَةٍ؛ فَتَجِدُهُ يَطْلُبُ وَهُوَ مُسْتَحْيٍ فِي المَرَّةِ الأُولَى، وَيَكُونُ أَقَلَّ حَيَاءً فِي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ؛ حَتَّى يَتَلاشَى الحَيَاءُ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا؛

فَتَجِدُهُ يَتَسَوَّلُ مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ فِي مَجَامِعِ النَّاسِ وَمَسَاجِدِهِمْ، وَيَطْرُقُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ بُيُوتِهِمْ، وَيَقِفُ عَلَى أَبْوَابِ سَيَّارَاتِهِمْ، وَعِنْدَ المَحَلّاتِ وَالمَطَاعِمِ، مُمَثِّلًا دَوْرَ مِسْكِينٍ أَوْ فَقِيرٍ أَوْ مَرِيضٍ يَحْمِلُ تَقَارِيرَهُ الطِّبِّيَّةَ المَكْذُوبَةَ غَالِبًا فِي جَيْبِهِ أَوْ حَقِيبَتِهِ، وَأَحْيَانًا يُمَثِّلُ دَوْرَ المَدِينِ الَّذِي غَرِقَ فِي الدُّيُونِ مُتَظَاهِرًا بِالبُكَاءِ، وَأَحْيَانًا يَحْمِلُ طِفْلًا يُتْقِنُ التَّمْثِيلَ مِثْلَهُ عَلَى أَنَّهُ مَرِيضٌ بِمَرَضٍ عُضَالٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَكْثَرَ اسْتِعْطَافًا لِلنَّاسِ؛ فَيَقُومُ مَنْ يَقُومُ مِنْهُمْ وَيَأْخُذُونَ يُكَدِّسُونَ الأَمْوَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ((وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)). وَغَابَ عَنْ ذِهْنِ ذَلِكَ المُعْطِي أَنَّهُ أَعْطَى مَنْ لا يَسْتَحِقُّ غَالِبًا، وَإِنْ كَانَ يَسْتَحِقُّ فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ فِي حَالِ تَسَوُّلِهِ خَطَأٌ كَبِيرٌ، وَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ حَالِهِ، وَأَنْ يَنْتَشِلَهُ مِنْ مَرَضِ التَّسَوُّلِ المُعْدِي الَّذِي أَخَذَ يَنْتَشِرُ فِي المُجْتَمَعَاتِ، وَكَيْفَ لا يَنْتَشِرُ وَهُوَ سَبِيلٌ سَهْلٌ لا جُهْدَ فِيهِ لِكَسْبِ المَالِ الوَافِرِ! فَقَدْ أَخَذَ هَذَا يَنْظُرُ إِلَى هَذَا وَالأَمْوَالُ تُكَدَّسُ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَسَلَكَ طَرِيقَهُ وَمَضَى عَلَى مِنْهَاجِهِ، وَقَدْ أَسْهَمَ ذَلِكَ المُعْطِي مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ فِي انْتِشَارِ مَرَضِ التَّسَوُّلِ وَزِيَادَةِ المُتَسَوِّلِينَ، فَوَقَعَ فِي الحَرَجِ، وقال حجّة الإسلام الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله ورضي عنه: إنّما قلنا إنّ الأصل في السؤال التحريم لثلاثة أسباب: الأوّل: شكوى الله على الخلق، الثاني: السائل يُذِلّ نفسه لغير الله وليس للمؤمن أن يذلّ نفسه إلا لله، الثالث: السؤال لا ينفكّ عن إحراج المسؤول وإيذائه، فهو إمّا أن يعطيه حياء أو رياء. وبذلك يحرم على المعطي والآخِذ، وإنْ منعه تأذّى المعطي في نفسه. حيث يتصوّر أنه من البخلاء، وأنه في إعطائه نَقْصُ ماله، وفي مَنْعه نَقْص جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في هذا الإيذاء، والإيذاء حرام بالضرورة. اهـ. أيّها المسلمون. إِنَّ التَّخَلُّقَ بِهَذَا الخُلُقِ السَّيِّئِ يُكْسِبُ صَاحِبَهُ الذِّلَّةَ وَالمَهَانَةَ، وَاحتِقَارَ النَّاسِ لَهُ، وَيُوَلِّدُ فِي نَفْسِهِ الاستِشْرَافَ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ، وَالشَّرَهَ فِي حُبِّ المَالِ، وَقَدْ جَاءَ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعطَانِي، ثُمَّ قَالَ: يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا

المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُوْرِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، قَالَ حَكِيمٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لا أَرزَأُ. أَيْ لا أَطْلُبُ. أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنيَا))، فَكَانَ سيّدنا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ سيّدنا عَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيئًا، فَقَالَ عَمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَطْلُبْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تُوُفِّيَ، أيّها المسلمون. أُنظُرُوا رحمكم اللهِ إِلَى هَذِهِ النَّفْسِ الأَبِيَّةِ، الَّتِي وَصَلَتْ فِي إِبِائِهَا إِلَى حَدِّ أَنْ تَتَنَازَلَ عَنْ أَخْذِ حَقِّهَا، فَأَينَ مِنْ هَذَا الخُلُقِ العَظِيمِ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَضُوا أَنْ يُذِلُّوا أَنْفُسَهُمْ فِي الحُصُولِ عَلَى المَالِ؟ وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلاءِ المُتَسَوِّلِينَ فُقَرَاءَ وَمَسَاكِينَ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ إِنَّمَا احتَرَفُوا التَّسَوُّلَ مِهْنَةً، لا لِفَقْرٍ وَحَاجَةٍ، بَلْ وُجِدَ مَنْ يَتَسَوَّلُ لِيَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ أَمْثَالُ هَؤُلاءِ يَسْتَحِقُّونَ الإِحْسَانَ؟! لا وَاللهِ. إِنَّ المُجتَمَعَ مُطَالَبٌ بِالأَخْذِ بِيَدِ هَذِهِ الفِئَةِ لإِصْلاحِهَا، لا أَنْ تُدْعَمَ بِالمَالِ وَتُمَكَّنَ مِنْ تَحْقِيقِ بُغْيَتِهَا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((لَيْسَ المِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، قَالُوا: فَمَنِ المِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا))، نَعَمْ إِنَّ المِسْكِينَ الحَقِيقِيَّ هُوَ الَّذِي حَفِظَ مَاءَ وَجْهِهِ، وَصَبَرَ عَلَى مَضَضِ الحَيَاةِ، فَلا يَبْسُطُ يَدَهُ بِالمَسْأَلَةِ، وَلا يَسْأَلُ النَّاسَ إِلحَافًا، ذَلِكَ هُوَ المُستَحِقُّ لِلإِحْسَانِ، الَّذِي عَلَى الغَنِيِّ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهُ لِيُعْطِيَهُ حَقَّهُ. أولئك المؤمنون حقًّا. الذين يتزيّنون دائماً ويعتزّون بزينة التعفّف والقناعة، والرضا بقدر الله، أولئك لا يَذِلّون لأحدٍ إلاّ إلى الله. قال تعالى في سورة البقرة: ((لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ

الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)). فَالتَّعَفُّفُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ، وَقَطْعُ الطَّمَعِ فِي أَمْوَالِهِمْ مَطْلَبٌ شَرَعِيٌّ، وَمَقْصِدٌ دِينِيٌّ؛ فَأَمْوَالُ الصَّدَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ؛ كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ هَذَا الإِسْتِغْنَاءُ وَاجِبًا لِمَنْ كَانَ قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، مُسْتَطِيعاً فِي كَسْبِهِ؛ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ رضي الله عنه قَالَ: ((أَخْبَرَنِي رَجُلَانِ أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يُقَسِّمُ الصَّدَقَةَ، فَسَأَلَاهُ مِنْهَا، فَرَفَعَ فِينَا الْبَصَرَ وَخَفَضَهُ، فَرَآنَا جَلْدَيْنِ فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ)). أيّها المسلمون. فلَوْ كَانَ إِعْطَاءُ المُتَسَوِّلِ القَادِرِ عَلَى العَمَلِ صَوَابًا لَمَا حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي جَاءَ يَسْأَلُهُ فحثّه عَلَى العَمَلِ؛ فَقَدْ جَاءَهُ شَابٌّ يَسْأَلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ حَثَّهُ عَلَى العَمَلِ وَقَالَ لَهُ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ))، فَكَيْفَ بِالإِنْسَانِ يَتْرُكُ الخَيْرَ وَيَأْتِي الشَّرَّ! وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ يُعْطُونَ مِنْ غَيْرِ تَبَيُّنٍ أَنَّهُمْ يُرَبُّونَ جِيلًا لا يُنْتِجُ، بَلْ يَسْلُكُ مِثْلَ هَذِهِ المَسَالِكِ المُلْتَوِيَةِ لِكَسْبِ المَالِ بِالكَذِبِ وَالتَّدْلِيسِ، وَكَمْ تَحَوَّلَ ذَلِكَ المُتَسَوِّلُ الوَدِيعُ ظَاهِرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ إِلَى لِصٍّ مُحْتَرِفٍ؛ فَسَرَقَ مَحْفَظَةَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ، وَقَدْ يَدْفَعُهُ وَيَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ، وَقَدْ يَفْعَلُ بِهِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ لَهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ أَوْ يُحَوِّلْ لَهُ إِلى حِسَابِهِ، بَلْ هُنَاكَ مَنْ طَرَقَ البَابَ طَالِبًا شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ ظَاهِرًا، فَإِذَا بِهِ يَنْقَلِبُ إِلَى وَحْشٍ كَاسِرٍ يَنْزِعُ الصّيغَةَ مِنْ يَدِ طِفْلَةٍ أَوْ عُنُقِهَا أَوْ أُذُنِهَا، أَوْ يُهَدِّدُ مَنْ فِي البَيْتِ بِسِلاحٍ فِي يَدِهِ لِيَدْفَعُوا لَهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ أَوْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يَدْفَعُهُ إِلَى ذَلِكَ إِدْمَانٌ عَلَى مُسْكِرٍ أَوْ مُخَدِّرٍ يُرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ المُعْطِي عَوْنًا لَهُ عَلَى إِدْمَانِهِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَالصَّدَقَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ فِي سورة التوبة: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)). أيّها المسلمون. فَاتَّقُوا اللهَ يَا عِبَادَ اللهِ، واحرصوا على الإكثار من الصدقات. واحتساب الأجر والثواب عند الله. واعلموا أنّ ما تُقدّمونه من ألوان الصدقة والمعروف. لن يضيع عند الله. الذي قال في سورة المزمّل: ((وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). وقال في سورة سبأ: ((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))، وقال في سورة البقرة: ((وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)). وقال أيضا: ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)). نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل العزّة والكرامة في الدنيا والآخرة، اللهم أعزّنا بطاعتك ولا تذلّنا بمعصيتك، اللهم ارزقنا إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينًا يملؤها، وتصديقًا بوعدك ووعد رسولك صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعلنا من أوثق خلقك بك. وأفقر عبادك إليك، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى قوّتنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقلّ من ذلك يا رب العالمين، اللهم متّعنا بما رزقتنا، وزدنا من فضلك وجودك يا حي يا قيوم، اللهم وما رزقتنا من رزق فاجعله عونًا لنا على طاعتك، ومقرّبًا لنا إلى مرضاتك ومتاعًا لنا إلى حين، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ